المنهج الاجتماعي :

يؤكد هذا المنهج الدلالة الاجتماعية للادب والفن . وبيان الصلة بين الاثر الادبي والمجتمع الذي انتجه . وهو في تفسيره وتقويمه للآثار الادبية يصدر عن هذه الدلالة الاجتماعية .

إن للفن وظيفة اجتماعية . والفنان يعبر . واعيا او غير واع . عما يسود مجتمعه وعصره من اتجاهات ومثل وتطلعات وآمال . والفنان المشبع بافكار وتجارب عصره . قد يدفعه طموحه لا الى تصوير الواقع وحسب . بل الى تشكيله وصياغته .

تعود جذور النقد الاجتماعي الى اواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر . وقد تجلت في دراسات اصدرها ادباء فرنسيون هاجروا الى المانيا وانكلترا . بعد عودتهم الى البلاد امثال مدام دستال التي اصدرت في عام ١٨٠٠ كتاب (عن الادب من حيث علاقاته بالنظم الاجتماعية) وشاتوبريان الذي اصدر في عام ١٨٠٢ كتاب (عبقرية المسيحية) . وصار الاثنان بداية لجمهرة من النقاد وضعوا المجتمع نصب اعينهم في دراساتهم النقدية . ثم ارتبط النقد الاجتماعي بدعوات اصلاحية أو ثورية . تكون الاشتراكية ـ مهما يكن نوعها ـ مادة خصبة فيها(١٣) . وفي الوقت الراهن تعد الواقعية الاشتراكية احدى اهم مدارس النقد الاجتماعي .

ترى هذه الواقعية ان للعوامل الاقتصادية الدور الرئيس في تشكيل المجتمع . وان البنى الفوقية . ومنها الفنون والاداب . انعكاس للبنى التحتية التي تتمثل في الانظمة الاقتصادية السائدة في المجتمعات الانسانية . والمجتمع يؤثر تأثيراً كبيراً في الفن . اذ ان المشكلات الاجتماعية الحيوية للعصر الذي يعيش فيه الفنان . هي التي تحفزه على الانتاج الفني . ولان المجتمع ينقسم الى طبقات على اساس اقتصادي . فان صراعا ينشب بين المسيطرين على الثروة الاقتصادية والمحرومين منها . ويولّد هذا الصراع توترات في ميادين الحياة كافة . وتغيّرات سياسية وقانونية وفقدان الاستقرار الاجتماعي . كما يؤدي الى خلق الفن . فالفنان . شأنه شأن أي فرد آخر في المجتمع . داخل في هذا الصراع . فهو قد يرتبط بالقوى الثورية في ميدان الاقتصاد . أو قد يكون معبراً عن النظام القديم . وفي كلتا الحالتين يكون اصل

---

(١٣) علي جواد الطاهر . مقدمة في النقد الادبي . ص ٤٠٤ .

عمله والعامل الذي يحدد اتجاه هذا العمل هو المحركات الاجتماعية لعصره . وفي الوقت نفسه تدخل القوى والعوامل الاقتصادية في الموضوع الفني نفسه . فالاعمال الفنية تتألف دائما من موضوعات لها دلالة اجتماعية . وللالفاظ والانغام والاشكال ارتباطات انفعالية تتسم بانها اجتماعية . والموضوع الذي يعالجه الفنان ـ اي الشخصيات والبيئة والحوادث ـ وكذلك الرموز التي يستخدمها تعكس ايديولوجية ذلك العصر . والافكار والاتجاهات التي يعبر عنها تضعه في جانب أو اخر من الصراع الطبقي . وهكذا نجد جميع عناصر العمل الفني تكشف عن تأثير المجتمع .(١٤) من هنا كان ظهور مواضيع جديدة واشكال تعبير جديدة ، واسلوب جديد ، في اعقاب التبدلات التي تطرأ على البنى الاجتماعية . وهذا المحتوى الاجتماعي الجديد لا يعبر عنه مباشرة ابداً ، بل يعبر عنه بطريقة غير مباشرة .(١٥)

والمنهج الاجتماعي « يمكن عن طريق تطبيقه تطبيقا واعيا فهم نشأة الظواهر الادبية المختلفة وتطورها وزوالها . فالاجناس الادبية مثلا والتطورات التي تلحق بها ، سواء كانت تطورات جزئية أو شاملة ، لا يمكن فهمها على اساس انه يحكمها منطق التطور الداخلي لها فقط ، بل لابدّ من ردّ هذه التطورات الى التغيرات الاجتماعية والثقافية التي لحقت بالمجتمع في فترة تاريخية محددة . »(١٦)

ويفيد المنهج الاجتماعي النقد اذا كان يتناول الاعمال الادبية ذات الطابع الاجتماعي ، فيحدد الاصول التي ينشأ منها العمل الفني ، ويفسر ما ينطوي عليه من معان ودلالات . لكن تطبيق المنهج على جميع الاعمال الفنية يسفر عن نتائج غير سليمة ، فثمة اعمال فنية لا تسري عليها مقولات التحليل الاجتماعي والاقتصادي . كما ان هذا النوع من النقد ، شأنه شأن النقد النفسي ، لا يصلح لتفسير التركيب الداخلي للعمل الفني . فالناقد هنا يتكلم بعبارات تاريخية واجتماعية ، على الموضوع الذي يعالجه العمل الفني والافكار التي يعبر عنها ، غير انه عندما ينتقل الى العناصر الفنية للعمل ، لا يستطيع ان يتحدث عنها باللغة نفسها .(١٧) .

---

(١٤) جيروم ستولينتز ، النقد الفني ، ص ٦٨٤ ـ ٦٨٥ .

(١٥) ارنست فيشر ، ضرورة الفن ، ص ١٨٠ .

(١٦) السيد يسين ، التحليل الاجتماعي للادب ، ص ١٥٤

(١٧) جيروم ستولنيتز ، النقد الفني ، ص ٦٨٦ ـ ٦٨٩ .

استخدم المنهج الاجتماعي في النقد العربي الحديث بعض النقاد منهم محمود امين العالم وعبدالعظيم انيس وعبدالمحسن طه بدر. قال الاخير في كتابه (الروائي والارض) عن رواية (الارض) لعبدالرحمن الشرقاوي ما يأتي « .. والواقع ان ثمة فارقا اساسياً وجذرياً بين رؤية الشرقاوي للقرية وبين رؤية المؤلفين السابقين عليه برغم ما يبدو احياناً من مظاهر التشابه بين قرية الشرقاوي وقريتهم. ويتمثل هذا الفارق بصورة اساسية في ان الموضوع عند من سبقوا الشرقاوي كان مضحى به من اجل مشكلة الاديب أو فكرته. وانتفت من مثل هذه الرؤية العلاقة الايجابية والدينامية بين الذات والموضوع. واصبح كل طرف من طرفي العلاقة يقف مفصولا عن الاخر. احدهما قاض والاخر محكوم عليه. أما عند الشرقاوي فثمة علاقة ايجابية ودينامية بين الذات والموضوع. ليس ثمة قاض ومحكوم عليه. ليس ثمة دائن ومدان ولكن تفاعل بين الذات والموضوع. لا يفقد احد طرفي العلاقة وجوده من اجل الاخر. واذا كانت القرية عند من سبقوا الشرقاوي ليست ذاتها ولكنها قرية المؤلف الخاصة فانها عند الشرقاوي تحاول ان تكون ذاتها وان تتحرك حركتها الخاصة والمستقلة.

وقرية الشرقاوي ليست قرية هيكل التي فرض عليها ان تتحرك في اتجاه واحد مفصول عن كل مظاهر الحياة الاخرى بحثا وراء نفس تشاطر زينب طريق الحياة الشاق والطويل. واذا كانت المشكلات التي تواجهها قرية طه حسين. أو قرية توفيق الحكيم مهمة واساسية في حياة القرية. الا ان القرى الثلاث يجمعها طابع واحد هو الاستسلام القدري لما فرض عليها. القرى الثلاث جامدة وميتة وسلبية لا تتحرك فيها يد للتغيير. ولا تحلم نفس بامكانية التغيير. يسكنها قطيع من البشر لا يملك من أمر نفسه ومصيره شيئاً. لا تحدث المشاكل التي يتعرض لها أي رد فعل لديه. حتى ولو كان غضبا مكتوما أو ألما مكبوتا. ويعيش قطيع البشر حياته في اتون الالم وهو لا يدري انه يتألم. ولا يحتج صوت في هذه القرى على هذا الوضع الانساني الشاذ. الا اذا كان هذا الصوت صوتا غريبا واجنبيا وفد الى القرية زائراً أو موظفاً أو كان من سكان القرية ثم انفصل عن القطيع ووفد الى المدينة فمسه سحرها. وبث فيه روحا انسانية واعية وحساسة.

وليست قرية الشرقاوي خاضعة ولا مستسلمة. ميتة وسلبية. وليست قابعة في انتظار مصيرها القدري. أو في انتظار واعظ أو معلم يتكلم باسمها. انها تتحرك حركتها الذاتية وتمارس الفعل وتواجه مشكلاتها وتحاول ان تجد حلاً لها. وسكانها ليسوا (مواشي طالعة سوق السبت). ولا مجرد معرض لنماذج من صور الجهل أو

التخلف . وليسوا شخصيات بلا جذور تحارب طواحين الهواء . ولكنهم بشر حقيقيون يواجهون مشاكل حقيقية . ويستطيعون التفكير لانفسهم . وليسوا مجرد كتلة صماء لا تحس ولا تشعر . ولكنهم شخصيات من لحم ودم . لهم ذواتهم المتميزة . يحبون ويشتاقون . ويتطلعون ويحلمون ويصارعون فيهزمون وينتصرون . ويبقى الفارق الاساسي بين رؤية الشرقاوي للقرية ورؤية من سبقوه متمثلا في ان قرية الشرقاوي تحاول ان تكون ذاتها وان تتحرك حركتها الذاتية والمستقلة . وان قرية من سبقوه خامدة وميتة . اذا تحركت فهي تتحرك رغم ارادتها في اتجاه مشكلة المؤلف أو تصوره الفكري المفروض والمسبق .. »(١٨)

المنهج البنيوي :

تعني البنيوية لغة البناء او الطريقة التي يقام بها مبنى ما . واصطلاحاً تطلق على منهج فكري يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي للعناصر المتحدة قيمة وضعها في مجموع منتظم . مما يجعل من الممكن ادراك هذه المجموعات في اوضاعها الدالة .

وما يهمنا هنا مايتعلق بالنقد . يُعد النقد البنيوي اساساً تياراً نقدياً ضمن تيارات نقدية عديدة . تنظر الى النص الادبي كياناً لغوياً قائماً بذاته . ومن ثم ينصب اهتمامها على تحليل النص من حيث الفاظه وجمله وتراكيبه ومجازاته وصوره الشعرية .

إن النقد البنيوي يتمركز حول النص ويعزله عن كل شيء . المؤلف والمجتمع والظروف التي نشأ فيها . ويرى ان الواقع الوحيد الذي يقوم عليه الادب لايخرج عن الخطاب او اللغة . من هنا تنصب عنايته على طبيعة الخطاب وادواته والعلاقات التي تربط بين هذه الادوات . فالعمل الادبي كله دال . « واذا كانت اللغة هي المادة الاولية التي يستخدمها الكتاب . فان النقد الادبي الذي ينحو الى تكوين لون من المعرفة عن هذه الاعمال اللغوية . من حقه ـ بل من واجبه ـ ان يرتكز على مقولات علم اللغة . وان يطلب منه اساساً الاجابة عن السؤال التالي : ماهي اللغة ؟

---

(١٨) الروائي والارض ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .